ديناميات العزوف عن الزواج
دراسة حالات وفق مقاربة سيكوسوسيولوجية للتمثلات والخبرة المعيشة

الدكتورة بشرى المرابطي
باحثة في علم النفس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس، الرباط
المملكة المغربية

الملخص:

تستهدف الدراسة الراهنة تفكيك الديناميات النفسية الاجتماعية الكامنة وراء سلوك العزوف عن الزواج في السياق المغربي المعاصر، من خلال رصد حركية الخط الفاصل بين "الاختيار" و"الاضطرار" لدى الأفراد العازفين عن الزواج في سن متأخرة. واستناداً إلى المنهج الكيفي القائم على دراسة الحالة، اعتمدت الدراسة على المقابلات شبه الموجهة والملاحظة مع عينة قصدية تتكون من أربع حالات، تتراوح أعمارهم بين 41 و62 سنة، وجرى تحليل بياناتها وفق أسلوب التحليل الموضوعاتي. وتتأطر الدراسة نظرياً ضمن مقاربة علم النفس الاجتماعي، وتحديداً نظرية التنافر المعرفي في ضوء مراجعاتها الحديثة، ونظرية التمثلات الاجتماعية والآليات الدفاعية للهوية.

وأظهرت النتائج أن دينامية العزوف تحكمها استراتيجيات معقدة لحماية الاتساق الذاتي؛ حيث يتخذ العزوف طابعاً اختيارياً مدفوعاً بالرغبة في الاستقلالية النفسية، أو استبطان كف سلوكي ناشئ عن استتراف طاقة الرعاية، في حين ينكشف كـــاضطرار معيش مقنّع يُدار بآليات إسقاطية وعقلنة لأزمة الأدوار، بهدف مداراة وطأة المعاناة النفسية الصامتة الناتجة عن غياب شريك متكافئ. وتوصي الدراسة بإعادة قراءة ديناميات الأفراد من منظور سيكوسوسيولوجي يأخذ بعين الاعتبار أزمة الأدوار والتغيرات في ديناميات العلاقات المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: العزوف عن الزواج؛ التمثلات الاجتماعية؛ الديناميات النفسية؛ الخبرة المعيشة.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

The present study aims to deconstruct the psychosocial dynamics underlying marital aversion behavior within the contemporary Moroccan context, specifically examining the fluid boundary between "choice" and "compulsion" among individuals remaining unmarried later in life. Employing a qualitative approach based on case studies, the study utilized semi-structured interviews and observation with a purposive sample of four cases, aged between 41 and 62 years, and data were analyzed through thematic analysis. Theoretically, the study is framed within social psychology, drawing specifically on cognitive dissonance theory—incorporating its contemporary revisions—along with social representations and identity defensive mechanisms. The findings reveal that the dynamics of marital aversion are governed by complex defensive strategies designed to protect self-consistency. Marital aversion manifests either as a voluntary choice driven by a desire for psychological autonomy or an internalized behavioral inhibition resulting from the depletion of caregiving energy. Conversely, it unfolds as a masked lived compulsion managed through projective mechanisms and the rationalization of role crises, aimed at mitigating the weight of silent psychological suffering caused by the absence of an egalitarian partner. The study recommends reinterpreting individuals' dynamics through a psychosociological lens that accounts for role crises and shifts in contemporary relationship dynamics.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المقدمة:

يشهد المجتمع المغربي المعاصر تحولات سوسيو–ثقافية وديموغرافية متسارعة، مست كينونة البنيات الأسرية التقليدية وأعادت صياغة تصور الأفراد حول مؤسسة الزواج وأدوارها المعيارية. و لم يعد الانتقال نحو الشراكة الزوجية مساراً خطياً تلقائياً يحظى بالامتثال الجمعي المطلق، بل أضحى موضوعاً لمساءلة ذاتية ومواقف إدراكية متباينة، لعل أبرز تجلياتها بروز العزوف عن الزواج كخيارات تتجاوز التفسيرات المادية لتلامس ديناميات الهوية وتقدير الذات. ومتجاوزاً حدود المؤشر الديمغرافي العابر ليصبح تعبيراً عن دينامية تفاعلية جديدة بين الفرد والجماعة المرجعية بوصفها نمطاً من إعادة بناء "التمثلات الاجتماعية Social) " Representations)حول مؤسسة الزواج والارتباط.

فوفقاً للمؤشرات الإحصائية الصادرة عن المندوبية السامية للتخطيط (2019)، عرفت المنظومة الأسرية بالمغرب تغييراً نوعياً في معدلات التغير الديمغرافي؛ حيث ارتفع متوسط سن الزواج إلى (31.9 سنة) لدى الرجال، و(25.5 سنة) لدى النساء حتى عام 2018، مقارنة بما كان عليه الوضع قبل خمسة عقود حينما كان المتوسط لا يتجاوز (24 عاماً) للرجال و(17 عاماً) للنساء. علاوة على ذلك، تشير المعطيات إلى أن حوالي 35% من النساء المغربيات يندرجن ضمن فئة غير المتزوجات، وتطال العزوبة الدائمة ما نسبته 11% من النساء في الفئة العمرية الممتدة بين 45 و49 سنة (المندوبية السامية للتخطيط، 2019).

إن هذه الأرقام، التي تعززها تقارير وطنية ودولية كتقرير المرصد الوطني للتنمية البشرية وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP & ONDH،(2019)، والذي رصد قفزة في نسب عزوف الشباب المغربي عن الزواج من 42% عام 2011 إلى 70% عام 2019 (المرصد الوطني للتنمية البشرية، 2019)، لا يمكن مقاربتها من زاوية ديمغرافية أو اقتصادية صرفة. فسلوك العزوف يمتد ليشتبك مع تغييرات عميقة في سيكولوجية الفرد المعاصر، ومستوى وعيه بذاته، وطبيعة التمثلات الذهنية التي يستبطنها حول شريك الحياة ومسؤولية الزواج في ظل عولمة ثقافية رقمية عابرة للمجتمعات.

ومن منظور علم النفس الاجتماعي، لا يمكن فصل موقف العزوف عن جدلية التفاعل بين "الذاتي" و"الموضوعي". فالأفراد في سياق التحديث المعاصر، يطورون "هويات ذاتية" قائمة على نزعة التفرّد والاستقلالية والفاعلية الشخصية (Agency). غير أن هذا التطور الهوياتي المتسارع يصطدم في المجال التفاعلي بـــ"تمثلات اجتماعية" تقليدية ومقاومة لدى الجماعة المرجعية، تسيّج مؤسسة الزواج ضمن أطر توزيع الأدوار التـــي تتسم بالاستقرار (Moscovici, 1984). هذا التباين الحاد بين تطلعات الهوية الحديثة وضغط المعايير الاجتماعية يضع الفرد في مواجهة مباشرة مع "التنافر المعرفي Cognitive Dissonance حسب أطروحة فيستينجر Festinger, (1957) ؛ حيث يجد العازف عن الزواج نفسه مطوقاً بنظرة وصم اجتماعي تربط اكتمال الرشد والاعتـــراف الاجتماعي بالامتثال لمعيار الزواج (Goffman, 1963). وتفعيلاً لحاجة "الأنا" في الحفاظ على اتساقها المعرفي وحماية تقديرها لذاتها أمام هذا الضغط التفاعلي، ينخرط الفرد في صياغة "استراتيجيات تكيف هوياتية Identity Coping Strategies "تماثل تلك التي قعدت لها أدبيات الهوية الاجتماعية والتفاعل مع (Camilleri et al., 1990; Tajfel & Turner, 1986)، حيث تشتغل هذه الاستراتيجيات كآليات دفاع معرفية تفاعلية تهدف أساساً إلى إعادة بناء تمثلات العزوف في الخطاب اليومي، وتحويل الوضعية من "إحباط علائقي أو اضطرار اجتماعي مفروض" إلى "خيار عقلاني أو موقف قيمـــي متعالٍ"، وهو ما يتيح للأنا

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

التعبيـــر عن ذاتها وفق المقاربة التفاعلية لغوفمان (Goffman, 1959)، ومن ثمّ صناعة معنى يتوافق مع تماسكها النفسي والاجتماعي.

وإن مراجعة الأدبيات السيكولوجية والسوسيولوجية التي تناولت موضوع العزوف عن الزواج، تكشف أن جزءاً كبيراً منها ظل مشدوداً إلى المقاربات التفسيرية التقليدية. فقد انصبت معظم الدراسات السوسيولوجية والديمغرافية، ولا سيما في السياق المغربي، على تحليل العلاقة بين تأخر سن الزواج وبين المحددات السوسيو–اقتصادية، مثل البطالة، وارتفاع تكاليف السكن والزواج، وطول المسار الدراسي والمهني. بينما، توجهت القراءات السيكولوجية خاصة منها الإكلينيكية إلى فحص العوامل النفسية كـــ "فوبيا الالتزام (Commitment Phobia) "أو اضطرابات التعلق (Attachment Disorders) الناشئة عن ديناميات أسرية مضطربة في الطفولة، مستندة إلى أطر التحليل النفسي ونظرية التعلق لبولبي (Bowlby, 1969–1982). وفي المقابل، حاولت بعض المقاربات النفسية الاجتماعية رصد التحول في القيم العلائقية عبر نظرية التبادل الاجتماعي (Social Exchange Theory)، مفسرةً العزوف بتزوع الفرد المعاصر نحو حساب الكلفة والعائد كمعيار عقلاني نفعي لتقييم جدوى الارتباط ومسؤولياته. بينما توجهت قراءات نقديّة أخرى نحو فحص أثر الحداثة في سيكولوجية الارتباط، مفسرةً العزوف ببروز العلاقات السائلة(Liquid Love) القائمة على الروابط المرنة والعابرة (Bauman, 2003)؛ حيث يتولد لدى الشباب نزوع مفرط نحو الاستقلالية الفردية، وخوف سيكولوجي من الالتزام العلائقي طويل الأمد، مما يدفعهم لاستبدال مؤسسة الزواج بروابط شبكية مرنة وقابلة للتحلل في أي وقت .

ورغم الثراء النظري المعرفي الذي قدمته هذه الأدبيات، إلا أن مقاربتها للعزوف عن الزواج واجهت حدوداً تفسيرية بالنظر للسياقات المعاصرة وهو ما كشف عن فجوة بحثية واضحة تتجلى في مستويين:

أولاً، اختزال سلوك العزوف إما في حتمية إكراه خارجي (اقتصادي/معياري) أو في اعتلال داخلي (نفسي/إكلينيكي)، مع إغفال الفاعلية الذاتية للفرد (Subjective Agency) وقدرته على إنتاج المعنى والموقف من خلال "الخبرة المعيشة".

ثانياً، ندرة الدراسات السيكوسوسيولوجية – في البيئة المغاربية والمغربية على وجه الخصوص – التي ترصد كيف يتشكل سلوك العزوف كـــ "موقف تفاعلي" دينامي يُصاغ من خلال التوفيق بين التمثلات الذهنية المستبطنة والضغط المعياري للجماعة المرجعية، وكيف تُبنى من خلاله استراتيجيات التكيف الهوياتية لحماية الأنا من الوصم الاجتماعي.

من هنا، وتأسيساً على هذه الفجوة المعرفية ، تبرز الحاجة العلمية إلى تجاوز التفسيرات التبسيطية الاختزالية، نحو تفكيك "الديناميات الذاتية والبنيوية" الكامنة وراء سلوك العزوف في السياق المغربي المعاصر. وهو الطرح المنهجي الذي يسعى هذا المقال إلى بلورته من خلال الانتقال من رصد المؤشرات الكمية إلى مساءلة العمق الكيفي لسلوك العزوف عن الزواج.

أولاً– إشكالية الدراسة وتساؤلاتها وفرضياتها:

تتحدد إشكالية هذه الدراسة في رصد وتفكيك الديناميات التفاعلية القائمة بين التحولات السوسيو–ثقافية الكلية، وبين الأنساق الإدراكية والمواقف السلوكية للأفراد تجاه مؤسسة الزواج في السياق المغربي المعاصر. إن مقاربة سلوك العزوف عن الزواج من منظور علم النفس الاجتماعي تقتضي تجاوز التفسيرات الأحادية المختزِلة لسلوك العزوف في "العائق المادي" الهيكلي، نحو مساءلة كيفية إدراك الأفراد وتأويلهم لهذا العائق، ورصد آليات إعادة صياغة مواقفهم الارتباطية بناءً على صراع المعايير بين

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المتخيل الثقافي التقليدي والرغبة في الاستقلالية والتفرد . إذ يفترض البحث أن الخطاب المعلن حول الزواج "الاختيار" و"الاضطرار"؛ يخفي خلفه ديناميات دفاعية وآليات لتدبير التنافر المعرفي، تتغذى على رواسب تفاعلية وتجارب ذاتية غير مدمجة.

ويتبلور التساؤل العام للدراسة كالتالي:

كيف يتحدد سلوك العزوف عن الزواج في السياق المغربي المعاصر في ضوء التفاعل الديناميي بين التمثلات الاجتماعية والخبرة المعيشة للأفراد؟

وينبثق عن هذا التساؤل العام السؤالان الفرعيان التاليان:

1. كيف تتفاعل الديناميات النفسية الذاتية (التوجس من المسؤولية واستبطان الصدمات الأسرية) مع التمثلات الاجتماعية السائدة في توجيه سلوك العزوف عن الزواج وتبريره؟

2. ما هي الحدود الفاصلة بين العزوف الاختياري والعزوف الاضطراري في ضوء الخبرات المعيشة والنفسية للحالات المدروسة؟

فرضيات البحث:

- **الفرضية العامة:**

يتحدد سلوك العزوف عن الزواج في السياق المغربي المعاصر تَبَعاً لبنية التفاعل الديناميي بين التمثلات الاجتماعية المستبطنة والخبرة المعيشة الذاتية للأفراد.

- **الفرضيات الفرعية:**

  - **الفرضية الأولى:** يرتبط سلوك العزوف عن الزواج بالتفاعل القائم بين الديناميات النفسية الذاتية والتمثلات الاجتماعية.

  - **الفرضية الثانية:** تتحدد الحدود الدينامية الفاصلة بين العزوف الاختياري والعزوف الاضطراري تبعاً لطبيعة المعاش النفسي والخبرات اليومية والذاتية للحالات المدروسة.

ثانياً- المنهج وإجراءات الدراسة الميدانية:

1- أهداف الدراسة:

بناءً على تساؤلات الدراسة وفرضياتها، تتحدد الأهداف الإجرائية المباشرة في الآتي:

- **الهدف الأول:** الكشف عن كيفية تفاعل الديناميات النفسية الذاتية (كالتوجس من المسؤولية واستبطان الخبرات السلبية) مع التمثلات الاجتماعية المستبطنة في توجيه سلوك العزوف عن الزواج وتبريره معرفياً.

- **الهدف الثاني :**تفكيك التداخل الديناميي بين بعدي "الاختيار "و"الاضطرار" في تجربة العزوف عن الزواج، والوقوف على تجلياتهما إجرائياً في ضوء الخبرة المعيشة والمعاش النفسي واليومي للحالات المدروسة.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

2- أهمية الدراسة:

- **الأهمية النظرية :** تقديم مقاربة سيكوسوسيولوجية لسلوك العزوف عن الزواج في المجتمع المغربي، تتجاوز التفسيرات الاقتصادية والديمغرافية الصرفة من خلال التركيز على التفاعل بين التمثلات الاجتماعية والديناميات النفسية المعيشة.
- **الأهمية التطبيقية:** توفير مادة علمية تفيد الممارسين في حقل الدعم النفسي والاجتماعي والاستشارة الأسرية، لفهم الخلفيات السيكوسوسيولوجية والخبرات المعيشية اليومية للأفراد في وضعية العزوف عن الزواج.

3- المنهج المعتمد:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الكيفي، وتحديداً منهج دراسة الحالة كمنهج أصيل في علم النفس الاجتماعي. ويتيح هذا الاختيار النفاذ إلى عمق الخبرات المعيشة للأفراد، وتفكيك البنية الدينامية للتفاعلات القائمة بين التمثلات الاجتماعية وسلوك الافراد تجاه الزواج، دون الاكتفاء بالرصد الإحصائي الخارجي، حيث تُدرس الحالة كبنية تلتقي فيها ديناميات الذات بمعايير المجتمع.

4- أدوات جمع البيانات:

لتحقيق أهداف الدراسة والإجابة عن تساؤلاتها، تم الاعتماد على الأدوات التالية:

– المقابلة شبه الموجهة: تم تصميم دليل مقابلة يغطي المحاور الأساسية للدراسة (التمثلات حول الزواج، الخبرات الأسرية الصدمية، والخبرات المعيشة بين الاختيار والاضطرار في العزوبة). تتيح هذه الأداة مرونة عالية للمبحوثين للتعبير الحر عن تمثلاتهم مع الحفاظ على الخيط الناظم للبحث.

– الملاحظة: وتهدف إلى رصد المؤشرات غير اللفظية (الانفعالات، فترات الصمت، التردد، لغة الجسد وغيرها) أثناء إجراء المقابلات، لما تحمله من دلالات تعكس طبيعة الآليات النفسية تجاه الزواج أثناء التفاعل.

5- عينة الدراسة:

تتكون عينة الدراسة من أربع حالات من المجتمع المغربي في وضعية تأخر عن الزواج، تم اختيارهم بطريقة قصدية بناءً على معايير محددة تخدم أهداف البحث وتضمن تنوع الخبرات المعيشة (السن، الجنس، الوضعية السوسيو–مهنية).

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

جدول خصائص العينة

الاسم (مستعار)	الجنس	السن	المستوى الدراسي	المهنة	السكن (مستقل / مع العائلة)
صباح	أنثى	41 سنة	ثانوي	مستخدمة في القطاع الخاص	مع العائلة
نجوى	أنثى	47 سنة	إجازة	إطار بمؤسسة عمومية	مع العائلة
ليلى	أنثى	51 سنة	دكتوراه	إطار عال بمؤسسة عمومية	مستقل
حميد	ذكر	62 سنة	ثانوي	متقاعد	مستقل

ثالثاً- عرض نتائج التحليل الكيفي للحالات:

1. تحليل نتائج الفرضية الأولى حول التمثلات:

1-1- آلية العقلنة كاستراتيجية لبناء اتساق التمثل الاجتماعي:

تتأسس هذه القراءة السيكوسوسيولوجية على فحص التفاعل الدينامي القائم بين المكونات النفسية الذاتية للمبحوثين وأنساق تمثلاتهم الاجتماعية حول مؤسسة الزواج، الشريك، والأدوار الجندرية المعاصرة. بناءً على هذا الطرح، لا ننظر هنا إلى آليات "العقلنة (Rationalization)" و"الإسقاط (Projection)" "كحيل دفاعية لاشعورية عيادية بالمفهوم السيكودينامي الصرف، بل كـــ "استراتيجيات تمثّلية هوياتية" يعيد من خلالها الفرد إنتاج وبناء واقعه الاجتماعي.

إن الهدف الوظيفي من هذه الاستراتيجيات هو حماية التموقع الهوياتي للفرد، والحفاظ على الاتساق المعرفي (Cognitive Consonance)، وتجنب القلق الناتج عن التنافر المعرفي (Cognitive Dissonance) في مواجهة الضغوط أو الأحكام النمطية الاجتماعية المحيطة به في السياق المغربي المعاصر.(Cooper, 2007)

ومن ثَمّ، يصبح التمثل الاجتماعي هنا بمثابة أداة توجيه وتبرير سلوكي؛ حيث يستبطن العازفون عن الزواج الأنساق المعرفية السائدة في المجتمع ويعيدون صياغتها ذاتياً لبناء مواقف حمائية تُشرعن العزوف كخيار عقلاني أو كحتمية فرضها الواقع (Moscovici & Jodelet, 2020)، لا سيما في ظل تداخل صراع الأدوار والنوع الاجتماعي والتحولات السريعة التي تشهدها بنية الأسرة الحديثة (Galland, 2022).

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

أ. حالة السيدة ليلى (51 سنة – حاصلة على الدكتوراه): عقلنة "التموقع الفكري والتناغم المطلق"

يتسم خطاب ليلى بمسحة فكرية متعالية، حيث تُشيّد حول عزوبيتها سياجاً من "العقلنة المعرفية النخبوية" التي تجعل من العزوف خياراً واعياً تمليه الضرورة المعرفية، معبرة عن ذلك بقولها:

"أبحث عن ذاتي علمياً وفكرياً... والزواج في نظري هو إطار لتحقيق التناغم المطلق"

تفكيك تجلي العقلنة: تصيغ ليلى تمثلاً هوياتياً يجعل من الاستغراق في التحصيل العلمي بديلاً مكافئاً لمؤسسة الزواج. العقلنة هنا تشتغل كأداة لشرعنة رفض أي ارتباط لا يوفر "التناغم المطلق"، وهو شرط تعجيزي وظيفته المعرفية حماية الأنا من قلق فقدان السيطرة على المستقبل بعد الخمسين. الذات تلجأ لتأطير العزوف كـــ"تموقع فكري" نخبوي لتداري خوفاً لاشعورياً من التبعية وفقدان الاستقلالية الهوياتية التي شيدتها عبر مسارها المهني.

ب. حالة السيدة صباح (41 سنة – مستخدمة في القطاع الخاص): عقلنة "الحصانة الأخلاقية"

تتخذ العقلنة في خطاب صباح طابعاً تقييمياً صارماً لبنية العلاقات الحديثة، حيث تعيد صياغة غياب الشريك من خلال وضعه في قالب من العقلنة الأخلاقية الحمائية:

"إما يريدون علاقات حميمية خارج الزواج وهذا أرفضه قطعاً، أو أن رغبتهم في الزواج تقوم على أطماع مادية صرفة وهذا غير مقبول أيضاً".

تفكيك تجلي العقلنة: تلجأ صباح إلى "عقلنة أخلاقية وقيمية" تقوم على تصنيف المتقدمين إليها ضمن ثنائية (الانتهازية المادية / الاستغلال العاطفي). هذا البناء المعرفي يمنحها حصانة نفسية واجتماعية تبرر بها وضعية العزوف؛ فالأنا هنا تحول قلق الرفض أو الدونية، والخوف اللاشعوري من صدمات الارتباط والهجر، إلى "موقف قيمي متعالٍ". العزوف هنا في تمثلها ليس عجزاً عن الارتباط بل هو "ترفع أخلاقي" ورفض للمساومة.

ج. حالة السيدة نجوى (47 سنة – إطار بمؤسسة عمومية): عقلنة "أزمة القوامة"

يتأرجح خطاب نجوى بين الاختيار والاضطرار. تظهر العقلنة لديها في صورة "تحليل سوسيولوجي واقتصادي نقدي" لبنية مؤسسة الزواج الحديثة في المجتمع المغربي، حيث تبرر عزوفها الاضطراري بقولها:

"بعض الرجال اليوم يريد زوجة تقوم بكل شيء، تعمل خارج البيت وداخله، وتتحمل الأعباء المادية، ومسؤوليات الزواج والأمومة وتربية الأبناء وتعليمهم والقيام بشؤونهم، ويقوم هو بدور شاهد عيان".

تفكيك تجلي العقلنة: تستعين نجوى بالمعطيات السوسيو–اقتصادية الواقعية لتصيغ تمثلاً بنيوياً متكاملاً يعتمد على فكرة "الزواج المقاولة". إن استخدام مفاهيم موضوعية مستمدة من الفضاء المهني كحاجز نفسي (مثل إحالة عدم تقدم زميلها لخطبتها إلى منصبها وراتبها الأعلى) يُعد عقلنة دفاعية وظيفية لتأمين اتساقها المعرفي. فالأنا تلجأ لتفكيك انسحاب الرجل من المسؤولية وتحويله إلى مجرد "شاهد عيان" لتشرعن رفضها للمخاطرة؛ حيث يصبح الارتباط في ظل هذه الشروط تمثلاً لـــ"صفقة خاسرة" تهدد مكتسباتها الهوياتية والاجتماعية القائمة على الحرية والاستقلالية.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

د. حالة السيد حميد (62 سنة – إطار متقاعد): عقلنة استتراف الرعاية و"رهاب المسؤولية"

يمثل حميد الفئة العمرية المتقدمة في العينة، وتتخذ العقلنة في خطابه طابع الالتزام الأخلاقي بأثر رجعي، حيث يعيد صياغة مسار حياته بالقول " ولجت الشغل مبكراً لأعيل إخوته اليتامى الثمانية، إذ تحملت أعباء معيشتهم ودراستهم حتى كبروا وتزوجوا، لم أتزوج بعد ذلك خوفاً من تحمل أعباء أسرة جديدة".

- **تفكيك تجلي العقلنة :** يوظف حميد تضحيته الأسرية التاريخية والنبيلة واستسلامه الحالي لقدر العزوبة المتأخرة. العقلنة هنا تعيد تشكيل تمثل "رهاب المسؤولية" اللاشعوري (الخوف من الالتحام العاطفي وبناء أسرة خاصة) كأثر رجعي منطقي وحتمي لـــ"استتراف طاقة الرعاية" في شبابه. الأنا هنا تختبئ خلف مبرر "الاكتفاء المادي " كتمثل اجتماعي مقبول لحماية الذات من مواجهة قلق الفراغ والوحدة ما بعد التقاعد.

خلاصة تركيبية للمحور الفرعي الأول (آلية العقلنة)

المبحوث	تمثلات العزوف في ضوء الفرضية الأولى	تجلي العقلنة والقطع اللفظية (Verbatim)	القلق والمكبوت المدارى خلف الدفاع المعرفي (الهوياتي)
ليلى	العزوف كخيار عقلاني موازٍ للتموقع الفكري، ورفض الارتباط الذي لا يحقق التناغم المطلق.	"أبحث عن ذاتي علمياً وفكرياً" / "الزواج... إطار للتناغم بغض النظر عن الحسابات المادية."	قلق فقدان السيطرة على المصير الشخصي، والخوف من التبعية وفقدان الاستقلال الهوياتي بعد الخمسين.
صباح	العزوف كحصانة أخلاقية وقيمية في مواجهة تمثلات شريك انتهازي أو نفعي.	"إما يريدون علاقات حميمية خارج الزواج... أو أطماع مادية صرفة."	قلق الرفض أو الدونية، وخوف لاشعوري من صدمات الارتباط والهجر.
نجوى	العزوف كحتمية ناتجة عن أزمة الأدوار (القوامة) وتحول مؤسسة الزواج إلى مقاولة نفعية.	"الرجل يريد زوجة تقوم بكل شيء... وهو يقوم بدور شاهد عيان."	الخوف من فقدان المكتسبات النفسية والمهنية (الحرية والاستقلالية كإطار ناجح).
حميد	العزوف كاستتراف قدري مبرر سيكوسوسيولوجياً بنفاد طاقة العطاء اللوجستي مبكراً.	تحمل أعباء "الإخوة اليتامى الثمانية"/ الاستسلام لـــ "رهاب المسؤولية."	الخوف اللاشعوري من الفشل في بناء علاقة حميمية خاصة، وقلق الشيخوخة المنفردة.

1-2- آلية الإسقاط كاستراتيجية لنزع الصفة الذاتية وإزاحة المسؤولية:

إذا كانت العقلنة بناءً معرفياً لإضفاء المشروعية المنطقية على الموقف، فإن الإسقاط يعمل كآلية دينامية لـــنزع الصفة الذاتية عن واقع العزوف، وتحويله من "خيار شخصي أو عجز علائقي داخلي" إلى "حتمية خارجية قاهرة" فرضتها إرادات الآخرين أو نسق المجتمع. تهدف الأنا من خلال هذا الدفاع إلى حماية النرجسية الذاتية من مشاعر الفشل العاطفي، وإلقاء اللوم كاملاً على

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

البيئة المحيطة للحفاظ على تماسك الهوية الاجتماعية في مواجهة التهديدات أو الضغوط السائدة (Breakwell, 2020; Krueger, 2018).

أ- حالة صباح: إسقاط التشويه الأخلاقي على مجتمع الرجال:

تتجاوز صباح عقلنة موقفها لتنخرط في آلية إسقاطية حادة تُزيح بها أي تساؤل داخلي حول أسباب عزوفها، حيث تقول في خطابها المعبر عن هذا العزوف: "الرجال في هذا الزمن صاروا يركضون وراء المظاهر والثروات العابرة، وعقولهم مبرمجة على الاستغلال الجنسي ؛ المجتمع الذكوري لم يعد ينتج شركاء حقيقيين نثق بهم".

تفكيك الخطاب: تُسقط صباح هنا مخاوفها اللاشعورية من "عدم الأمان العلائقي" أو "الخوف من الهجر" على الجنس الآخر بالكامل. سيكولوجياً، هذا التعميم الإسقاطي (الرجال صاروا يركضون وراء الثروات) يحمي الأنا من مواجهة احتمال وجود عوائق تواصلية خاصة بها، ويحول الأزمة من "صعوبة في الارتباط" إلى "أزمة أخلاقية عامة في مجتمع ذكوري مأزوم"، فتظهر الأنا في تمثلها لذاتها كـــ"ضحية ترفض التنازل" لا كشخص يعاني من قلق الارتباط العاطفي.

ب- حالة نجوى: إسقاط عقدة النقص والتردد على الشريك المفترض:

تتخذ آلية الإسقاط عند نجوى أبعاداً سوسيو-ثقافية تتقاطع مع العقلنة، حيث تُسقط مسؤولية العزوف الاضطراري الحالية بالكامل على تآكل تمثلات "الرجل المسؤول" في المتخيل الاجتماعي:، معبرة بكل يقين: "أنا أعرف نظراتهم جيداً؛ الزملاء في العمل يتهيبون مني، وأي رجل يتقرب إلي يشعر بعقدة النقص والدونية لأن منصبي وراتبي أعلى منه، فهم يفضلون المرأة التابعة."

تفكيك الخطاب: يتراح خطاب نجوى نحو تحميل "الرجل المعاصر" أسباب العزوف بـــــــــــــ"إسقاط" كوابحها التواصلية وحذرها المفرط في محيطها على الآخرين، جازمة بأن "الزملاء يشعرون بعقدة النقص". هذا الإسقاط يعمل وظيفياً لحماية تموقعها النرجسي كإطار متفوق وامرأة ناجحة؛ فبدلاً من مراجعة حواجز التواصل أو الخوف من فقدان الاستقلالية، يتم تكرار التفسير لا شعوريا ليصبح العائق هو "ضعف الرجل المعاصر وخوفه من المرأة الناجحة."

ج- حالة ليلى: إسقاط شروط الارتباط التعجيزية على "طبيعة المتقدمين للزواج":

على الرغم من أن **ليلى** تمتلك نظرة عقلانية قوية، إلا أنها تواجه ضغطاً تفاعلياً ناتجاً عن رفضها لخطّاب ذوي مستويات اجتماعية رفيعة (أطباء، مهندسون). لتبرير هذا الرفض أمام نظرات الوصم الاجتماعي، تسقط الأنا العائق على الآخرين قائلة: "كل من تقدم لي بعد الخمسين يبحث عن ممرضة ترعاه في شيخوخته أو غطاء اجتماعي يكمل به وجاهته؛ عقولهم مادية وتفتقر للنضج الذي أطلبه."

تفكيك تجليات الإسقاط: تُسقط ليلى كوابحها الذاتية ونفورها اللاشعوري من فكرة الشراكة والتقاسم بعد الخمسين على نيات المتقدمين وطبيعة تفكيرهم (يبحث عن ممرضة/وجاهة مادية). الإسقاط هنا يشتغل كآلية دفاعية تفاعلية تعفي الأنا من الاعتراف بـــ"صعوبة التكيف مع شريك جديد" في هذه المرحلة العمرية، وتلقي باللوم على "عدم نضج" أو "أنانية" الطرف الآخر.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

د- حالة السيد حميد: إسقاط عجز المبادرة على "سلطة القدر والظروف الحتمية":

يمر خطاب يحيى بمرحلة إزاحة واضحة للمسؤولية الشخصية عن العزوبية المتأخرة، حيث يقوم بنزع الصفة الذاتية عن مخاوفه من مؤسسة الزواج، مُسقطاً إياها على حتميات خارجية: "الظروف القاسية وتضحيتي مع إخوتي اليتامى هي التي قطعت علي الطريق، ثم جاءت آخر محطة قطار العمر وسلمت نفسي لقدر العنوسة الذي خطه الله لي؛ لم يعد لي يد في الموضوع."

تفكيك تجلي الإسقاط: يُسقط حميد رهاب المسؤولية الداخلي وعجزه السيكولوجي عن المبادرة بعد مرحلة الشباب على "سلطة القدر الحتمي" والظروف العائلية التاريخية (الظروف هي التي قطعت الطريق/ لم تعد لي فرصة). قامت الأنا بإزاحة المسؤولية الشخصية بالكامل وتحويل الخوف من الارتباط الوجداني المتأخر إلى "تضحية قدرية نبيلة"، مما أخلاه اجتماعياً ومعرفياً من مسؤولية الاختيار الشخصي وخفف من قلق الذنب تجاه ذاته المنفردة

المبحوث	تمثلات العزوف في ضوء آلية الإسقاط	تجلي الآلية والقطع اللفظية (Verbatim)	الهدف الدفاعي والهوياتي للأنا
صباح	إسقاط النزوع الاستغلالي والشهواني على مجتمع الذكور لعزل الأنا عن قلق الهجر.	"الرجال في هذا الزمن صاروا يركضون وراء المظاهر والثروات... وعقولهم مبرمجة على الاستغلال".	تحويل العزوف من عجز علائقي ذاتي إلى ترفع قيمي وأخلاقي مقبول في مواجهة واقع مأزوم.
نجوى	إسقاط عقد النقص والتهيب على الزملاء والمتقدمين في المحيط العملي.	"الزملاء في العمل يتهيبون مني... وأي رجل يتقرب لي يشعر بعقدة النقص والدونية لأن منصبي أعلى".	حفظ الصورة النرجسية كإطار متفوق، وتبرير المقاومة اللاشعورية لخسارة الاستقلالية والحرية.
ليلى	إسقاط الكوابح الذاتية للتكيف بعد الخمسين على غايات الخطّاب ونواياهم المادية.	"كل من تقدم لي بعد الخمسين يبحث عن ممرضة ترعاه... عقولهم مادية وتفتقر للنضج الروحي".	تجنب مواجهة النفور اللاشعوري من التقاسم والشراكة، وإلقاء اللوم على أنانية الآخرين.
حميد	إسقاط رهاب المسؤولية وعجز المبادرة على حتمية الظروف التاريخية وسلطة القدر.	"الظروف القاسية وتضحيتي هي التي قطعت علي الطريق... وسلمت نفسي لقدر العنوسة".	التحلل المعرفي والأخلاقي من مسؤولية الاختيار، وتخفيف قلق الذنب والوحدة المتأخرة.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

تؤكد المعطيات الكيفية المستخرجة من الحالات الأربع صدق الفرضية الأولى للدراسة؛ حيث تبيّن أن سلوك العزوف عن الزواج لا يتحدد حصراً بالمتغيرات السوسيو–اقتصادية الخارجية، بل هو نتاج تَمَازُج وتفاعل مَرِن وديناميي بين المخاوف النفسية الذاتية للمبحوثين، والتمثلات (العقلنة والإسقاط) التي يدمجونها في خطاباتهم لإعادة صياغة شروط مؤسسة الزواج، بما يضمن لهم الحفاظ على اتساقهم المعرفي وحماية تموقعاتهم الهوياتية والاجتماعية.

2- تحليل نتائج الفرضية الثانية حول الخبرات المعيشة واليومية:

إذا كانت الفرضية الأولى قد رصدت الأنساق المعرفية والتمثلات الجماعية التي يسيّج بها المبحوثون واقع عزوفهم، فإن فحص "الخبرة المعيشة" من منظور علم النفس الاجتماعي يتيح تفكيك العمليات التفاعلية اليومية التي يصنع من خلالها المبحوثون المعنى الذاتي لوضعيتهم. إن ثنائية (الاختيار/الاضطرار) لا تُقرأ كحتمية بنيوية ، ولا كنزوع نفسي معزول، بل تدرس بوصفها "دينامية تكيف هوياتي"؛ حيث يعيد الفرد صياغة وضعيته الاجتماعية عبر عمليات إدراكية ومعرفية تهدف إلى الحفاظ على اتساق الهوية وحمايتها من التهديد في فضاء تفاعلي ضاغط.

أولاً- العزوف الاختياري الصارم (حفظ المسافة وإعادة بناء شروط الذات):

يتجلى البعد "الاختياري" في العزوبة المتأخرة كاستراتيجية نشطة تتبناها الحالات التي حققت تموقعاً مهنياً أو فكرياً متفوقاً. في هذا السياق، يُعاد بناء العزوف معرفياً ليصبح دليلاً على "الاستقلالية الذاتية" بدلاً من كونه "عجزاً عن الارتباط"، وذلك لإعادة التوازن لمفهوم الذات.

أ- حالة السيدة ليلى: "اختيار العزوف" كاستراتيجية لحفظ الاتساق الهوياتي والتميز المعرفي:

تتمحور الخبرة اليومية لليلى حول التحصيل العلمي والتفاعل مع بيئة أكاديمية نُخبوية، حيث يظهر غياب الشريك من خلال تعبيرها بكل صرامة وينعكس ذلك في نظراتها وحركاتها و تقاسيم وجهها:"في الحقيقة.. بعد كل هذه السنوات، وبعد أن بنيت اسمي ومكانتي الأكاديمية وصار لي فضاء خاص أتحكم في تفاصيله.. هل سأسمح لشخص آخر أن يدخل ليرتب لي حياتي أو يفرض علي وتيرته؟ الزواج في نظري يجب أن يكون تطابقاً مطلقاً أو لا يكون.. وبما أن هذا التطابق شبه مستحيل، فأنا أختار بوعي كامل أن أستمر في طريقي العلمي وحيدة، لأن الثمن التفاعلي للارتباط الآن صار أغلى بكثير من مكتسباتي الشخصية".

- **التحليل السيكوسوسيولوجي:** يكشف الفحص التفاعلي أن شروط ليلى الصارمة ليست تبريراً واهياً، بل هي موقف اختياري. الأنا هنا تقوم بـــ"تقييم كلفة وعائد العلاقة"، وتختار بوعي رفض الامتثال للمعيار الاجتماعي التقليدي حفاظاً على استقلاليتها النخبوية.

ب- حالة السيد حميد – الانتقال من حتمية الواجب إلى الاختيار المبني على الخوف المستبطن:

- **يقول حميد مع ملاحظة انخفاض نبرة الصوت والصمت الطويل الذي يتخلل كلامه مع زفير وحسرة:**

"كنت دائماً أقول إن إخوتي هم السبب.. لكن الحقيقة هو أنني عندما كبروا وتزوجوا، وجدت نفسي عاجزاً.. لقد فرغت تماماً. فكرة أن أبدأ من الصفر مع امرأة، وأن أتحمل مسؤولية بيت وأولاد وأنا في هذا السن، ترعبني.. نعم ترعبني الفكرة. لقد اخترت في النهاية أن أنسحب.. اعتدت على هدوئي وعزلتي لدرجة أنني لا أستطيع التخلي عنهما من أجل أي ارتباط".

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

- **التحليل السيكوسوسيولوجي:** بسقوط آلية "الإسناد الخارجي" (التضحية بالإخوة)، يتضح أن عزوف حميد تحول إلى **اختيار وجودي وسلوكي.** عقود الرعاية الطويلة أحدثت "كفاً تفاعلياً" واستبطاناً لرهاب المسؤولية، مما جعل الانسحاب والعزوبة خياراً ذاتياً لحماية الأنا من قلق الفشل العاطفي المتأخر.

ثانياً– العزوف الاضطراري (تفكيك الأقنعة الدفاعية والكشف عن رغبة الارتباط المأزومة):

أ– حالة السيدة صباح – سقوط قناع "الترفع الأخلاقي" وكشف اضطرار العزلة:

- **تقول صباح مع ظهور علامات التأثر الوجداني، دموع ونبرات صوت حزينة وانقباض الصوت:**

"أنا لست ضد الزواج.. من منا لا يريد أن يؤسس بيتاً ويجد سنداً؟ كل ما قلته عن الأطماع المادية للرجال كان درعاً أحمي به نفسي أمام نظرات المجتمع الشامتة.. الحقيقة المرة هي أنني في كل مرة كنت أفتح فيها قلبي لرجل، كنت أكتشف أن الآخر يريدني فقط لمصلحة أو لوضع مؤقت، ثم يختفي.. أنا لست عازفة عن الزواج، أنا ضحية واقع تفاعلي مشوه لم يمنحني فرصة واحدة حقيقية لأكون زوجة وأماً.. أنا مجبرة على هذا التكيف".

- **التحليل السيكوسوسيولوجي:** يسقط التحليل هنا فرضية "الاختيار الحمائي" ليكشف عن **اضطرار تفاعلي حاد.** خطاب صباح القيمي الأول كان وسيلة دفاعية لإدارة وتجنب الوصم الاجتماعي. في العمق، تعيش صباح أزمة تنافر معرفي حادة بين رغبتها المعيارية في الزواج واضطرارها الواقعي لتقبل العزلة نتيجة صدمات العلاقات السابقة.

ب– حالة السيدة نجوى: من نقد "الرجل الاتكالي" إلى مرارة الاضطرار الهيكلي:

- **تقول نجوى مع تنهيدة عميقة وتوقف بين الفينة والأخرى:**

"حين أرى زميلاتي المتزوجات وكيف يعشن في صراع يومي، أقول لنفسي أنا أفضل حالاً.. لكن حين أعود لبيتي الفارغ في المساء، تسقط كل هذه التحليلات.. لطالما تمنيت رجلاً ناضجاً يشاركني الحياة لا رجلاً يبحث عن موظفة تعيله وتتحمل عنه الأعباء. تفوقي المهني كان نقمة؛ لقد جعل الرجال يهابونني أو يطمعون فيّ.. العزوف هنا ليس رغبة مني، بل هو نتيجة حتمية لمجتمع يرفض أن يتزوج امرأة قوية ومستقلة.. أنا ضحية هذا التناقض المجتمعي".

- **التحليل السيكوسوسيولوجي:** يكشف هذا التفاعل عن اضطرار بنيوي معياري. نجوى لا تختار العزوف، بل تجد نفسها مدفوعة إليه بفعل صراع الأدوار الاجتماعية في المجتمع المغربي المعاصر، حيث يعجز الخُطاب المفترضون عن استيعاب هويتها المهنية المتفوقة، مما يحول نجاحها الاجتماعي إلى عائق يحرمها من تلبية حاجتها للارتباط، فتمارس نقد المؤسسة كآلية تعويضية لعقلنة هذا الاضطرار.

رابعاً– مناقشة النتائج:

تتيح القراءة التركيبية التفاعلية لنتائج الفرضيتين تجاوز التفسيرات السطحية الجاهزة لسلوك العزوبة المتأخرة، وتكشف عن معمارية دينامية معقدة تتقاطع فيها التمثلات المعرفية بالجماعات المرجعية، والخبرات المعيشة اليومية بآليات الدفاع الهوياتي. إن الانتقال من الخطاب التبريري الأولي للمبحوثين إلى الكشف عن حقيقة مواقفهم عبر المقابلة يسمح بصياغة نموذج تفسيري متكامل لسلوك العزوف في المجتمع المغربي المعاصر.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

1- نموذج التنافر المعرفي وحركية التبرير مقابل واقع الاضطرار:

من منظور علم النفس الاجتماعي، وتحديداً نظرية التنافر المعرفي لـــ فيستينجر (Festinger, 1957) في ضوء مراجعاتها الحديثة) مثل (Cooper, 2007; Harmon-Jones, 2019)، يعيش العازب لسن متأخرة حالة من عدم الاتساق بين المعيار الاجتماعي الضاغط الذي يربط الرشد والاعتراف بالزواج والاستقرار الأسري، وبين الواقع المعيش المفروض (العزوف)؛ مما يُفعّل لديه حركية التبرير كآلية دفاعية لإعادة التوازن المعرفي والنفسي.

ولتخفيف وطأة هذا التنافر الذي يهدد تماسك الأنا، يتخذ خطاب المبحوثين مسارين تفاعليين:

- **العقلنة وتحويل الاضطرار إلى اختيار قيمّي (حالة صباح ونجوى):** حيث تبين أن التمسك بـــــــــــــ"الترفع الأخلاقي" أو "نقد اتكالية الرجل" في بداية المقابلات لم يكن سوى درع تفاعلي لإدارة صورة المجتمع. وتجنب نظرة الوصم أو الشفقة الاجتماعية. عند سقوط هذه الدفاعات، انكشف الاضطرار المعياري المطبوع بمرارة الوحدة وخلل التفاعل الاجتماعي مع محيط لم يستوعب تطلعاتهن.

- **الاختيار البنيوي كحصيلة لكف سلوكي (حالة ليلى وحميد):** هنا لا نجد تنافراً حاداً بل نجد إعادة صياغة كاملة لمفهوم الذات. فليلى تضع معايير تعجيزية للارتباط كحاجز تفاعلي يحمي استقلاليتها الأكاديمية المكتسبة، بينما حميد، وبفعل عقود الرعاية الأسرية، استبطن خوفاً مرتفعاً من الأدوار الوالدية الجديدة، مما جعل انسحابه اختياراً سلوكياً للحفاظ على ما تبقى من طاقته النفسية والذهنية في خريف العمر.

2- صراع الأدوار ومأزق التحديث الهوياتي في المتخيل الاجتماعي:

تكشف مناقشة الحالات (ليلى، صباح، نجوى) عن تمفصل حاد بين تطور الهوية المهنية للمرأة وثبات التمثلات الاجتماعية المرتبطة بـــــــــــــــــ"القوامة والأدوار التقليدية". إن النجاح السوسيو-مهني للمرأة (نجوى وليلى كأطر عالية وأكاديمية) يرفع تفاعلياً من تقديرها لذاتها ويجعلها تطالب بعلاقة ندية قائمة على الشراكة والتوافق الفكري والاجتماعي والمادي . لكن هذا التحديث الهوياتي الذاتي يصطدم بـــمتخيل اجتماعي ذكوري مأزوم يعيد إنتاج التمثلات التقليدية، حيث يُنظر إلى المرأة المستقلة كـــ"تهديد" لمكانة ودور الرجل، أو يتم التعامل معها بنفعية مادية (كما كشفت صباح ونجوى). هذا التناقض البنيوي يحول التفوق المهني للمرأة من مَكسب اجتماعي إلى "عائق ارتباطي"، مما يدفعها دفعاً نحو عزوف اضطراري يُدار تفاعلياً بإنتاج خطاب نقد مؤسسة الزواج لإضفاء المشرعية على العزوف.

3- استراتيجيات التكيف الهوياتي وإدارة الوصم الاجتماعي:

أظهرت الحالات الأربع قدرة تفاعلية على ابتكار استراتيجيات تكيفية متنوعة لحماية هوياتها الاجتماعية من "وصم العزوف". ويمكن تصنيف هذه الاستراتيجيات بناءً على مسارات التفاعل في المقابلات إلى:

- **استراتيجية التسامي المعرفي والنخبوي (ليلى):** تعويض غياب الدور الأسري بالانغماس الكامل في أدوار أكاديمية وعلمية، مما يمنح الذات اعترافاً مجتمعياً بديلاً يقلص معا لم الوصم.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

- **استراتيجية الإسناد الخارجي والقدري (حميد):** تحويل مرارة الوحدة وقلق الشيخوخة المنفردة إلى حتمية قدرية فرضتها تضحية تاريخية نبيلة (إعالة الإخوة)، مما يرفع من قيمته الأخلاقية داخل الجماعة المرجعية ويحميه من قلق الذنب أو الندم.

- **استراتيجية الترفع القيمي والأخلاقي (صباح):** صياغة العزوف كـــ"موقف أخلاقي ترفعي" برفض العلاقات النفعية الزائفة، وهي آلية حمائية اعتمدت على المقارنة الاجتماعية بنماذج زيجات فاشلة في محيطها المعيش.

- **استراتيجية التبرير الاجتماعي ونقد النسق (نجوى):** عقلنة العزوف الاضطراري من خلال تفكيك أزمة الأدوار داخل الأسرة الحديثة، وتحميل المسؤولية للمتخيل الذكوري، لتظهر الذات في ثوب الرافض الواعي لا الضحية المُجبرة.

خامساً- خاتمة تركيبية وآفاق إرشادية وتوصيات:

1- خلاصة تركيبية لنتائج الدراسة:

شكلت هذه الدراسة محاولة سيكوسوسيولوجية لتفكيك الأنساق المعرفية والخبرات المعيشية المحيطة بسلوك **العزوف عن الزواج** في المجتمع المغربي المعاصر، متخذة من التمفصل بين الذاتي والموضوعي مقترباً أساسياً لفهم حركية الخط الفاصل بين "الاختيار" و"الاضطرار" في تبني هذا السلوك.

وقد أفضى التحليل الكيفي التفاعلي للحالات، بعد تفكيك نتائج المقابلة وشبكة الملاحظة، إلى إثبات صحة فرضيات الدراسة وفق الخلاصات التالية:

- **تأكيد الفرضية الأولى:** إن التمثلات الاجتماعية المشكّلة حول **سلوك العزوف عن الزواج** ليست مجرد أفكار ساكنة، بل هي أدوات معرفية نشطة يستدمجها المبحوثون لتقليل التنافر المعرفي وحماية تقدير الذات في مواجهة نسق قيمي تقليدي يربط الاعتراف الاجتماعي بالامتثال لمؤسسة الزواج.

- **تأكيد الفرضية الثانية:** إن حركية الخط الفاصل بين الاختيار والاضطرار في **دينامية العزوف** تحكمها استراتيجيات التكيف الهوياتي وآليات حماية الاتساق الذاتي ؛ حيث تبين أن **العزوف** يتخذ طابعاً **اختيارياً بنيوياً** مدفوعاً بطلب الاستقلالية النخبوية الصارمة (ليلى) أو استبطان كف سلوكي ناشئ عن استتراف طاقة الرعاية (حميد)، في حين ينكشف كـــ**اضطرار معيش مقنّع** لدى حالات أخرى (صباح ونجوى) يُدار بآليات دفاعية اسقاطية أو عقلنة لأزمة الأدوار، لمدارة وطأة المعاناة النفسية الصامتة الناتجة عن غياب شريك متكافئ.

تأسيساً على هذه النتائج، يتضح أن **العزوف عن الزواج** في السياق المغربي المعاصر يعكس فجوة تفاعلية حادة بين تطور الهوية الذاتية والمهنية للأفراد (خاصة النساء) واستقرار التمثلات المعيارية التقليدية لأدوار الرجل والمرأة في إطار مؤسسة الزواج لدى الجماعة المرجعية.

2- التوصيات والآفاق التربوية:

بناءاً على الديناميات النفسية الاجتماعية التي كشفت عنها الحالات، وتفعيلاً لأدوار الدعم النفسي والإرشاد الأسري في التخفيف من معاناة العزلة وصراع الأدوار، تقدم الدراسة التوصيات والآفاق التالية:

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

أ- على مستوى الإرشاد النفسي والتوجيه الأسري:

- **تطوير برامج إرشادية متخصصة لإدارة "التنافر المعرفي":** إحداث وحدات توجيه ودعم نفسي داخل مراكز الاستماع والإرشاد الأسري، تُعنى بمساعدة العازبين في السن المتأخرة على معالجة قلق الشيخوخة المنفردة، وتفكيك الآليات الدفاعية غير التكيفية (كالاشتراط التعجيزي أو التوجس التفاعلي)، واستبدالها باستراتيجيات "التقبل النشط" وصناعة معنى إيجابي ومتزن للذات.
- **تأهيل المقبلين على الزواج وتحديث تمثلات الأدوار:** صياغة حقائب تدريبية وورشات عمل تفاعلية عبر الوسائط الرقمية، تستهدف إعادة بناء التمثل الاجتماعي للزواج المعاصر، والتركيز على قيم "الشراكة والمرونة في توزيع الأدوار" بدلاً من النماذج التقليدية الاتكالية التي أثبتت الدراسة أنها تشكل عائقاً ارتباطياً أساسياً للأطر العليا.

ب- على المستوى التربوي ومؤسسات التنشئة الاجتماعية:

- **إدماج سيكولوجية العلاقات الإنسانية في المناهج التعليمية:** مأسسة مجزوءات تربوية تفاعلية في الجامعة تعنى بـــــــــــــــ"الذكاء العاطفي"، "إدارة التوقعات في العلاقات"؛ للحيلولة دون استبطان التوقعات الوهمية أو تبني الكف السلوكي والانسحاب الاجتماعي تفادياً للمسؤولية.
- **الحد من الوصم الاجتماعي عبر وسائل الاعلام :** توجيه المنصات الرقمية والإعلامية لتقديم قراءات علمية للتحولات الديموغرافية والاجتماعية، وتجاوز الصور النمطية السلبية (الوصم الاجتماعي) للعزوف عن الزواج التي تزيد من "المعاناة النفسية الصامتة" وتدفع الأفراد لبناء آليات دفاعية تعمق عزلتهم عن المحيط.

ج- على مستوى البحث العلمي (الآفاق البحثية):

- **إنجاز دراسات مقارنة موسعة:** تفتح هذه الدراسة الأفق البحثي لتعميق الفحص السيكوسوسيولوجي عبر دراسات كمية-كيفية مقارنة تمس فئات سوسيو-مهنية ومجالية متنوعة (قروي/حضري)، لاستكشاف مدى تأثير المتغير السوسيو-اقتصادي في تشكيل موقف العزوف عن الزواج

- **دراسة المسارات السيكوسوسيولوجية للعزوف في مرحلة الرشد المتأخر:** فتح أفق بحثي يرصد كيف يرتد **العزوف الممتد** نفسياً على الأفراد عند التقدم في السن، ويدرس ديناميات التكيف والمساندة الاجتماعية لدى فئة العازبين المتقاعدين (نموذج حميد)، لرصد احتياجاتهم النفسية واللوجيستية وصياغة سياسات عمومية حمائية تدعم جودة حياتهم.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الـــمـــــــــــراجـــــع والمصادر:

✓ أولاً- المراجع باللغة العربية:

- المرصد الوطني للتنمية البشرية .(2019) .تقرير حول وضعية الشباب بالمغرب .بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.
- المندوبية السامية للتخطيط .(2019) .السكان والتنمية في المغرب.
- المندوبية السامية للتخطيط، (2019). السكان والتنمية في المغرب: تقرير وطني حول التقدم المحرز في تنفيذ برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية https://www.hcp.ma .

✓ ثانياً- المراجع باللغة الأجنبية:

- Breakwell, G. M. (2020). Identity process theory: Identity structures and dynamics (2nd ed.). Cambridge University Press. https://www.cambridge.org/highereducation/books/identity-process-theory/F0E9A8F6F4C5E64B29A726FE6AA808DF.
- Cooper, J. (2007). Cognitive dissonance: 50 years of a classic theory. SAGE Publications. https://sk.sagepub.com/books/cognitive-dissonance.
- Festinger, L. (1957). A theory of cognitive dissonance. Stanford University Press. https://www.sup.org/books/title/?id=1255
- Galland, O. (2022). Sociologie de la jeunesse (7e éd.). Armand Colin. https://www.cairn.info/sociologie-de-la-jeunesse--9782200633196.htm.
- Harmon-Jones, E. (Ed.). (2019). Cognitive dissonance: Reexamining a pivotal theory in psychology (2nd ed.). American Psychological Association. https://psycnet.apa.org/books/16010/.
- Krueger, J. I. (2018). Social projection: Mechanisms and functional implications of psychological egocentrism. Routledge. https://www.routledge.com/Social-Projection-Mechanisms-and-Functional-Implications-of-Psychological/Krueger/p/book/9780815383567.
- Moscovici, S., & Jodelet, D. (2020). Les représentations sociales : Dynamiques et transformations (6e éd.). Presses Universitaires de France. https://www.puf.com/les-representations-sociales.
- Observatoire National de Développement Humain, & Programme des Nations Unies pour le Développement. (2019). Indicateurs de transition des jeunes au Maroc : Trajectoires, défis et représentations sociales de la famille. ONDH. https://www.ondh.ma/fr/publications/indicateurs-de-transition-des-jeunes-au-maroc.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/